

الحكمة في ديوان ابن حزم الظاهري ت456هـ دراسة موضوعية

م.م. انتظار عبد علي محي

الحكمة في ديوان ابن حزم الظاهري ت456هـ (دراسة موضوعية)

jnat6316@gmail.com

بحث تقدمت به

م.م. انتظار عبد علي محي

اللغة العربية وآدابها / تخصص أدب أندلسي

المقدمة..... 1

الحمد لله رب العالمين حمداً طيباً مباركاً على عظيم مننه، والصلاة والسلام على نبيه الذي أنزل عليه القرآن بلسان عربي مبين، وعلى آل نبيه الذين زقوا العلم زقا. أما بعدُ تناول هذا البحث واحداً من الموضوعات الشعرية التي لم تمتد إليه أيدي الباحثين ولم يُفرد له بحث أو دراسة، اصطلاحاً عليه عنوان (الحكمة في ديوان ابن حزم الظاهري) بعد أن تعددت الدراسات التي تناولت هذا العالم والإمام الفقيه الكبير أبي محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري(ت 456هـ) الذي اشتهر بتأليف العديد من الكتب في الطب، والمنطق، والفقه، والحديث، والتاريخ، والنسب، وغيرها مما وجدت لديه. كثيراً ما قيل إن ابن حزم كان كثير الوقيعة بقلمه أولسانه في تسفيه آراء غيره من العلماء، لكن ردَّ الشيخ ابن تميم الظاهري على هذا الخطأ التاريخي، في الصفحة الخامسة من ديوانه.

ف " ابن حزم في الذروة من أولئك الذين يجب أن تستثار بهم همم النابغين، وتحرك بذكرهم عبقرية العبقريين، وإنَّ من بعض الوفاء للتاريخ وللعلم ولابن حزم، أن نعرض على الناس من ابن حزم صورة صادقة بقدر ما تنفرج مسافة القول في هذه الكلمة الموجزة، نجلو بها من حقيقة أمره وكنه ذاته... فلم يستطع أحد ممن تكلم على ابن حزم أن يصعد بنا إلى القمة التي تربع ذروتها، واحتل قمته وأنهم عجزوا بعض العجز أو كله عن أن يأخذوا بيد قارئ ترجمته إلى حيث يجب أن يقف من إعظام الرجل وإكباره"⁽¹⁾.
حقاً إن الذي يقف عند ابن حزم لايسعه إلا أن يستزيد، إنَّ هذه الدراسات والقراءة وأنا أتطلع وأقرأ بعض ما تيسر لي من كتبه، وما كُتِبَ حوله من الدراسات، لرصد مواقفه

الحكمة في ديوان ابن حزم الظاهري ت456هـ دراسة موضوعية

م.م. انتظار عبد علي محي

التي تشع منها الحكمة والعلم، بعد أن تعدد ما أصبح ينضوي تحت هذا المعنى، كاشفاً لنا عن حكمته ومكانة العلم عنده، وهو يصف العلوم وتمكنه منها. ومن محاسن الأقدار عليّ، أن يكون لنا شرف الإسهام في إنصافه، وتتبع معاني الحكمة عنده، وهل إنّ الحكمة عنده نبعث من نشأته وثقافته التي وجدت فيها الحكمة في جوهرها، أم هي مجرد كلمة تحمل معنى وجدت في شعره، فهذا يقودنا إلى التعرف على شخصيته أكثر فأكثر، وأثبتت سجية الحكمة من خلال شعره. عني البحث بكل ما اتصل بالحكمة من علم، وعدل، وحلم، وقرآن، ونبوة، وكل ما يدخل تحت هذا المعنى من أشعار، وجدت في ديوانه؛ فهذا العمل يضم هذه الأشعار التي كتبت بقلم الشاعر والأديب ابن حزم، بلفظها أو بمعناها، التي تحمل في طياتها معاني الحكمة، إذ يؤكد الشاعر في هذه الأشعار على العلم ومنزلته الكبيرة، وتمكنه منه، وأهمية هذه العلوم للإنسان في الدنيا والآخرة.

توزع البحث الذي اتبعت فيه المنهج التحليلي، على مقدمة ومبحثين وضعت لكلٍ منهما عنواناً، وتتابع المبحثان على النحو الآتي: الأول كان جولة فيما تعنيه الحكمة وموضوعاتها في شعر ابن حزم، ودار المبحث الثاني حول منزلة العدل، وحلم ابن حزم في الرد على من نال منه، ودفاعه عن الإسلام، من وجهة نظر هذا العالم، وخاتمة أثبتت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها، أما التمهيد حول نشأة ابن حزم وأهم الدراسات التي تناولت ابن حزم. ولا أدعي الإحاطة الشاملة لكلّ أشعار ابن حزم، لأن الموضوع اقتصر على ديوانه، ولكن فتحت نافذة والله الموفق وهو المُعين.

ملخص البحث 2

كشف لنا هذا البحث عن الأشعار التي تؤكد على العلم وقيمه العلمية والعملية والأدبية، وإنّ لهذه الأشعار وجوداً ثابتاً لا يتغير من زمان لزمان أو من مكان لمكان، فهي أولى بأن تكون أكثر الموضوعات الشعرية جدية، فهي تحت على العلم وطلبه، وتميل إلى الأدب التربوي، لأنها صادرة عن فكر فلسفي وأخلاقي كفكر ابن حزم.

توضح لنا مواقف الرد بالحكمة في المواقف التي تعرض لها ابن حزم، بقوة القطع مع الأنماط السلوكية السائدة، وتُمثل صرخة استنهاضية غايرت المتعارف عليه من الهجاء في مواجهة الموقف، فهي تحرك القيم التي نحملها، معلنة التعبير عن تغيير قدرة الإنسان عبر التاريخ تغيير نحو الجمالية، يترجم ذلك تغيير في النظرة إلى وضع الإنسان ونشوء الوعي وعناصره، ليصبح بالإمكان تغيير اتجاه الفعل نحو حل المشكلات الحيوية الحياتية، والبحث عن أيسر الطرق لتسهيل حلها، حتى في المواقف التي تقتضي بطبيعتها القوة والرصانة كالهجاء الذي تعرض له.

الحكمة في ديوان ابن حزم الظاهري ت456هـ دراسة موضوعية

م.م. انتظار عبد علي محي

من جانب آخر الخطاب في هذه الأشعار تجاوز الحقل الأدبي، فالخطاب مباشر ينشر قيم مشتركة تحت على الإبداع العلمي المجدد غالباً ببادرة قطع أيديولوجي، لأنها مزجت بين العلم والأدب الأخلاقي الذي تمثل في رد ابن حزم، ودفع غضب المسيء بالصبر، وجهله وإسائه بالحلم، ومن حكمته إنه لم يتعامل مع الإهانة بالإهانة، والمحافظة على رباطه جأشه في مواجهة من نال منه، إذ لا تستوي الحسنة التي قالها مع السيئة التي توجهت له، ولا ينال هذه السجية الكريمة إلا الذين يكظمون غيظهم، ويتحملون الأذى بالصبر، ممن لهم نصيب وافر من الحظ الموهوب الذي يمنحه الله من يحاول من عباده فيستحقه.

فهذا البحث هو خلاصة عبقرية فذة شغلت الناس في زمنها، وشغله الناس بتقلباتهم، وتغير أحوالهم وتبدل سلوكياتهم. نخلص منه إلى القول إن ابن حزم قامة علمية، فهو ليس عالماً وفقهياً وفيلسوفاً فحسب، بل هو أديب مبرز إذ كان لأدبه سمات خاصة تباينت في ديوانه من موقف لآخر، كان له إسهاماً في الحقل الأدبي، ولا يسعنا إلا القول كما قال جامع ديوانه " لا تظن أنك أمام شاعر فقيه بل أنت أمام فقيه أديب سهل لفظه وحسن وجاد معنى " (2).

التمهيد... نشأة ابن حزم وعلمه 4

إذا أردنا أن نستشف الكلام حول الإمام والعالم والفقيه، والأديب والشاعر والوزير ابن حزم الظاهري، فهو من الذين استفاضت المصادر والدراسات في الحديث عنهم وعن مؤلفاتهم ونكباتهم، إذ تعجز الكلمات، وبلاغة المحدثين أن تصفه، وتصف الدراسات التي دارت حوله. فمن هذه الدراسات، ما تناول شخصيته وأدبه، ومنها ما تناول فقهه ومذهبه، ومنها ما تناول فكره التاريخي واللغوي والفلسفي، ومنها ما تناول فكره في العقائد وأسلوبه في الجدل، ومنها ما تناول عرض الحوار الجدلي بينه وبين ابن النغريلة اليهودي كما عرضها المستشرق الإسباني غرسيه غومث، ومنها ما درس المنطق في قرطبة من واقع كتاب ابن حزم التقريب لحد المنطق، كما فعل المستشرق رامو جبريرو، ومنهم من قام بتحقيق ودراسة لكتبه، كت تحقيق كتاب الفصل في الملل والأهواء والنحل، ومنهم من درس قواعد المنهج عند ابن حزم، ومنهم من درس فكره السياسي، هذا عن الكتب والدراسات الأكاديمية.

أما عن المقالات والأبحاث التي نُشرت بالدوريات العلمية، فمنها ما درس أثره في الفكر المسيحي، ومنهم من تناول مؤلفات ابن حزم ورسائله بين أنصاره وخصومه، ومنهم من تناول علاجه للحب في رسالته الشهيرة طوق الحمامة، ومنهم من تناول الحب العذري عند ابن حزم، أما الدكتور حسين مؤنس فقد تناول الذكرى المئوية التاسعة لوفاة ابن حزم، تحت عنوان (الحكومة الإسبانية والهيئات العلمية والأوربية تحتفل بالذكرى المئوية التاسعة لوفاة ابن حزم).

الحكمة في ديوان ابن حزم الظاهري ت456هـ دراسة موضوعية

م.م. انتظار عبد علي محي

وكتب الدكتور محمد عبدالله عنان عن مهرجان ذكرى ابن حزم في مدينة قرطبة، وذهب البعض الآخر إلى دراسة جوانب من الفكر الاقتصادي عند ابن حزم، بل تجاوزت الدراسات ذلك، حتى تناولت المؤلفات المفقودة عند ابن حزم ... وإلى غير ذلك من الدراسات.

أما عن "مؤلفاته، التي يقول عنها ابنه الفضل المكنى أبو رافع، إنّ تأليفه في الفقه والحديث والأصول والنحل والملل وغير ذلك من التاريخ والنسب، وكتب الأدب نحو أربعمئة مجلد تشتمل على قريب من ثمانين ألف ورقة... وهذا شيء ما علمناه لأحد ممن كان في دولة الإسلام قبله إلا لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري فإنه أكثر أهل الإسلام تصنيفاً" (3).

فابن حزم عرف بمواهب نادرة منها: إنه كان فيلسوفاً ومتألفاً ومؤرخاً وعالم أخلاقياً وكان له الأثر العظيم في تاريخ بلاده، فترك لنا في كتبه ومنها كتابه طوق الحمامة مرآة جليلة تبدو فيها هذه المواهب على أكملها، وتوضح فيها مشاهد ذكائه الفنية، وتظهر فيها نواحي عديدة من نفسه، وهو فوق كل هذا مُربّ ذو بصيرة وقادة، وإنتباه عظيم، وقصصي ماهر، وشاعر لطيف، وله أحياناً ذوق الناقد الأدبي البصير، مدقق في عادات المعاصرين، شريف النفس مستقيم السيرة (4).

فكتبه، وأدبه، وأشعاره، كانت نتيجة ممارسته للحياة وتجاربها، فهو الذي يقول: "فليس من تكلم عن نفسه وما يعتقد كمن تكلم عن غيره، ليست التكلّي كالنائحة المستأجره، ومن لم يسمع إلا من عالم واحد أو شك أن لا يحصل على طائل" (5).

المبحث الأول..... ما تعنيه الحكمة وموضوعاتها في شعر ابن حزم 5

الحكمة لغة:

الحكمة هي معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم (6). والحكيم هو المتقن للأمر يقال للرجل إذا كان حكيماً، قد أحكمته التجارب (7). وأحكّم الأمر: أي أتقنه فاستحكم ومنعه عن الفساد. فالحكمة تمنع صاحبها من أخلاق الأراذل (8). لقد جاءت الحكمة في اللغة العربية بمعان عدّة، منها: العلم، والقرآن، والنبوة، والحلم، والعدل ... (9). أما الحكمة اصطلاحاً: فتعرف "على أنّها حالة أو صفة يتم من خلالها التمييز ما بين المقبول وغير المقبول، مقترناً بحكم عادل وبصيرة، وتشمل الحكمة القدرة على التعلم والتلفظ بأقوال حكيمة والتصرف بحكمة وموعظة" (10).

وبخصوص هذا المعنى جاءت لفظة الحكمة في القرآن الكريم في آيات عديدة منها: قوله تعالى: ﴿يُوتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (11). وكذلك قوله تعالى: ﴿بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (12).

الحكمة في ديوان ابن حزم الظاهري ت456هـ دراسة موضوعية

م.م. انتظار عبد علي محي

و" قيل ان الحكمة نُزلت من السماء على ثلاثة أعضاء من أهل الأرض: على أدمغة اليونان وأيدي أهل الصين، والسنة العرب" (13). وما " يدخل تحت الحكمة ستة هي الذكاء: وهو سرعة إنتاج القضايا وسهولة استخراجها لكثرة مزاولة المقدمات وصيرورة ذلك ملكة. وسرعة الفهم: وهو حركة النفس في الملزومات إلى اللزومات بلا توقف. وصفاء الذهن: وهو استعداد النفس لاستخراج المطالب بلا اضطراب. وسهولة التعلم: وهو أن تكون للنفس حدة في اكتساب المطالب بلا ممانعة الخواطر المتفرقة، بحيث تكون بكليتها متوجهة إليها. والتحفّظ: وهو أن تكون صور الأمور المدركة بالعقل بقوة التفكير والتخيل مستحصلة بأقل نظر. والتذكر: وهو أن تلاحظ النفس صور المحفوظ في أي وقت شاءت بسهولة من وجهة الملكة المكتسبة" (14).

فالشخص الحكيم يتميز بصفات عدة ومميزات تميزه عن غيره، وقد لا تكون الحكمة مرئية للناس، ولكنها تظهر من خلال تصرفات وتعاملات وأفكار خاصة، إذ يمتاز الإنسان الحكيم بقدرته على حل المشاكل التي تواجهه، وهدوئه في مواجهة المواقف الصعبة (15).

إذ " إنَّ أهم ما في حُسن الخلق كظم الغيظ وضبط النفس، ولجم اللسان عن قول القبيح" (16).

أما ابن حزم الظاهري، فترك في مؤلفاته مرآة جلية تبدو في جلها معاني هذه الحكمة على أكملها، وتتضح فيها مشاهد ذكائه، وتظهرنا على نواح عديدة من نفسه كاشفاً عن هذا المعنى من خلال.

المبحث الأول..... ما تعنيه الحكمة وموضوعاتها في شعر ابن حزم

ولد ابن حزم في قرطبة سنة 383 هـ، عندما كان أبوه أبو عمرو أحمد بن سعيد يشغل منصب الوزارة في بلاط المنصور محمد بن عبد الله بن أبي عامر، ففضى ابن حزم المرحلة الأولى من حياته في قصر أبيه بالزاهرة، وتلقى تربيته على يد النساء اللاتي علمنه القرآن والأشعار والخط.

وبدأ ينشأ في مقاصير العز والثراء على عرش الحكم وأسرة المجد، يتردد من نبله وعلمه ورتبه عند السلطان بين عرش يجله ربه وسرير يمتطي صهوته، متقلباً على طنافس النعيم ونمارق السعادة يشمخ بانفه عن الوزارة، وينأى بطرفه عن صحبة الملوك، فلا يرى متعة لنفسه إلا السعي وراء العلم للعلم، فلا يزال يسمو ويرتقي ويقرأ ويكتب ويؤلف على منابر الذهب والفضة، على ما في الجدة والنعيم من مشغلة العلم، حتى يكون له من التأليف ما لا يكون لرجل غيره في العرب قاطبة، إلا ابن جرير الطبري في المشرق (17).

الحكمة في ديوان ابن حزم الظاهري ت456هـ دراسة موضوعية

م.م. انتظار عبد علي محي

"إذ كان ابن حزم حامل فنون من حديث وفقه وجدل ونسب، وما يتعلق بأذيال الأدب مع المشاركة في كثير من أنواع التعاليم القديمة من المنطق والفلسفة، وله في بعض تلك الفنون كتب كثيرة" (18).

وعين ابن حزم وزيراً للخليفة الأموي المستظهر، وبعد مقتله وسقوط الخلافة الأموية دخل ابن حزم السجن وعاش هو وعائلته في محنة، وبعد خروجه من السجن أثر الابتعاد عن السياسة (19).

وانتقل ابن حزم إلى المرية ليوصل تعليمه، ولم تمنعه هذه الأوضاع من الإقبال على العلم؛ أستفاد ابن حزم من مرور الأيام والإشراف على أحوال الزمان، وأثر تقييد ذلك بالمطالعة له والفكرة فيه على جميع لذات الحياة، فكل ذلك يرجع إلى نشأته نشأة مترفة ناعمة، ونستطيع أن نحكم على أثر هذه النشأة إذا قرأنا كتابه (طوق الحمامة) ولاسيما حياته في قصر أبيه، فبيته كان من البيوت الرفيعة من بيوت الوزراء والمرموقين (20). إذ ذكر تلك الحياة في شعره، بقوله إن نصيبه من هذه الدنيا وافر، إذ بلغ منزلة عالية من كرم العيش ولذته :

بلغت من لذة الدنيا ذرى أربي في لذة العيش والسلطان والنسب (21)

ويبدو أن ابن حزم كان هدفاً لكل ألوان الحقد والكراهية والتآمر، بل كيداً حتى لأنه يمتلك المال:

وكان مالي لهذا كله تبعاً بل صار عوناً لأعدائي على طلبي (22)

ثم ينتقل ابن حزم كي يخبرنا عن النكبات السياسية والعائلية التي كانت توزع فكره وتعكر عليه صفو حياته، عندما كانت الرياح تهب عاتية على حياته، فقد بدأ عصر الطوائف النكد، فأنهالت على بيته النكبات والاعتداء والإعتقال والتغريب والإغراء الفادح، إذ أثر ذلك فيه وزاد الحزن في نفسه (23) فقال:

المبحث الأول..... ما تعنيه الحكمة وموضوعاتها في شعر ابن حزم 7

فأذهبت دول الأيام منزلتي وزاد فقدي الذات في كربي (24)

فهذا طرف من سيرة هذا الإمام ونشأته التي نرى منها صفاء نفسه، ورقة شعوره، وعلو همته، وشدة مراسية، وثبات اعتقاده، وقوة يقينه، ونعلم إنه بهذه المواهب النادرة استطاع أن يكون وزيراً بارعاً في السياسة، ومؤلفاً بارعاً في الأدب، وفقهاً إماماً في المذهب، ومناضلاً ثابتاً في النضال (25).

الحكمة في ديوان ابن حزم الظاهري ت456هـ دراسة موضوعية

م.م. انتظار عبد علي محي

العلم :

وقال أبو مروان بن حيان⁽²⁶⁾: "كان أبو محمد حامل فنون من حديث وفقه وجدل، ونسب، وما يتعلق بأذيال الأدب مع المشاركة في كثير من أنواع التعاليم القديمة في المنطق، والفلسفة، وله في ذلك كتب كثيرة"⁽²⁷⁾. وقيل "تناظر ابن حزم والباجي⁽²⁸⁾ شارح الموطأ، فقال له الباجي: أنا أعظم منك همّة في طلب العلم، لأنك طلبته وأنت معان عليه تسهر بمشكاة الذهب، وطلبته وأنا أسهر بقنديل بآنت في السوق، فقال له ابن حزم هذا الكلام عليك لا لك؛ لأنك إنما طلبت العلم وأنت في تلك الحال رجاء تبديلها بمثل حالي، وأنا طلبته في حين ما تعلمه وما ذكرته فلم أرج به إلا علو القدر العلمي في الدنيا والآخرة فأفحمه"⁽²⁹⁾.

عرف عن ابن حزم كثرة سماعه على كثير من العلماء في العديد من الأماكن، في مدن قرطبة والمريّة وبلنسية وشاطبة، وخلاصة هذه السنين من عمره خرج ابن حزم على الدنيا بهذه المؤلفات العلمية، التي تعلن عن جده وحزمة وصبره⁽³⁰⁾.

وهناك قصيدة طويلة كتبها ابن حزم متحدثاً فيها عن العلم ومنزلته في نفسه، ويذكر فيها تركه لمدينة قرطبة والذهاب إلى مدينة المريّة، إذ أخذ إلى السكينة والهدوء يقرأ ويؤلف، فهو الذي يقول:

لكن رجعت وقد جدّ الزمان إلى كنز من العلم والأخلاق والأدب⁽³¹⁾

ثم يصور لنا عجز الزمان ورجوعه ضعيفاً وهو أقصر من أن ينال من علمه وأخلاقه وأدبه، مستعيراً لفظة (أعجز) التي هي تدل على شيء آخر من خصوصيات الإنسان استعارها إلى الدهر، لعلاقة المشابهة بينهما :

فأعجز الدهر أن يودي بواحدةٍ منها وأقصر عني واهن السبب⁽³²⁾

ثم يقول لا أخاف من تأثير الأيام في مكانتي؛ لأنّ عندي أغلب ما يُطلب:

لا أخشى تضع الأيام منزلتي مدى الزمان وعندي أغلب الطلب⁽³³⁾

الحكمة في ديوان ابن حزم الظاهري ت456هـ دراسة موضوعية

م.م. انتظار عبد علي محي

المبحث الأول... ما تعنيه الحكمة وموضوعاتها في شعر ابن حزم 8

وبعد ذلك يشبه توارثه للعلم من أبيه، كتوارث الملك للحكم عن أبيه، بدليل وجود لفظة النسب؛ لأنَّ "من المعروف عن أحمد بن سعيد والد ابن حزم إنه كان أديباً بارزاً وعالمًا صالحاً وإدارياً حازماً" (34). فقال:

وإن منزلتي في العلم منزلة في الملك خَطَّ كَخَطِّ الصَّادِقِ النَّسَبِ (35)

فهو يؤمن بإدخار علمه للدهر وتقلباته، مثلما يُدخِر الذهب والفضة للزمن الصعب وتقلباته، وإنفاقه في وقت الحاجة؛ كذلك هو لا يبخل بعلمه إذا طلب منه كتاب، أو توجه له سؤال، فيجيب عنه، كما يجيب في رده على التحية أو السلام :

مازلتُ أدخره دهري وأنفقُه كفعله في اللجين المحصن والذهب

وإنني لبخيلٌ بالسلام إذا بخلتُ بالعلم من لفظي ومن كتبي (36)

ثم يستعمل ابن حزم أسلوب التمني بلفظة (لو) مؤكدا ما يتمناه بلفظة (كلهم)، كي يوزع ما عنده من علم وما رزقه الله من المال على الناس، ثم يذكر المفارقة بين المال والعلم، وكما إنَّ المال تنفصه النفقة، لكن العلم يزداد كلما أنفق منه :

لو استطعت منحتُ الناس كلَّهم ماقد تجمع في حفطي وفي كسبي

أبذلُ المال يُغني البذلُ حاصله ولستُ أبذلُ ما ينمي على النهب (37)

ثم يستعمل أسلوب الاستفهام المجازي الذي خرج لغرض النفي، موظفاً الأداة (كيف) كي ينفي ستره للعلم، أي هو يريد نشر علمه، فزكاة العلم نشره، فلا داع لستره، فالعلم يعلي رتبته، ويكثر في شهرته، ويديم بقاءه، ويضمن خلوده، فقال:

وكيف أسترُ مَعلى رُتبتي أبداً ومن يخلدُ نِكْري آخر الحُقْبِ (38)

وهو يرى أن كل من علمه أمسى صديقاً له، ومن أهله سواء كان من العرب أم من العجم، ثم يصف العلم بأنه أنيس لروحه إذا صادفته أياماً موحشة، ونوراً لعقله، وبه تزال تلك الأيام الصعبة الموحشة :

الحكمة في ديوان ابن حزم الظاهري ت456هـ دراسة موضوعية

م.م. انتظار عبد علي محي

وَمَنْ يَكْثُرْ أَهْلِي وَيَجْعَلْنِي صَدِيقَ مَنْ شَتُّوا مِنْ عَجْمٍ وَمَنْ عَرَبٍ

المبحث الأول... ما تعنيه الحكمة وموضوعاتها في شعر ابن حزم 9

أَنْيَسُ رُوحِي إِذَا مَا الدَّهْرُ أَوْحَشَنِي وَنُورُ عَقْلِي وَحَالِي عُمَةُ النَّكَبِ (39)

ثم يقول إنه سيكرس كل ما تبقى من حياته للعلم؛ لأن كل وعاء يضيق بما فيه إلا وعاء العلم فإنه يزيد ويتسع ويكثر ويدوم بالإففاق :

وَخَطَّتِي الْعُلْيَا الَّتِي لَسْتُ أَتَقِي حَيَاتِي مِنْهَا الْعَزْلُ مَارَتَعُ الضَّبِّ

وَمَالٌ عَمِيمٌ لَسْتُ أَخْشَى نَفَادَهُ بِإِنْفَاقِهِ، لِابْلِ يَزِيدٍ وَيَنْضَبُ (40)

فكل ما توصل إليه من العلو والرفعة والتألق، قد توصل إليه بنفسه، ولم تنزل عليه تلك المكانة التي توصل إليها، وهو ليس بالأمر السهل، بل هو أمر شاق وصعب المنال، في ظل زمن متسارع، وهي طريقة إعجاب بنفسه :

سَمَوْتُ بِنَفْسِي لِابْمَجْدِ هَوَتْ بِهِ مِنَ الزَّمَنِ الْعِدَا آلَاتِهِ الْحُدْبُ (41)

وينتقل بنا للكلام على علمه بعلمي الديانة والحديث، فهو بصير بهما، يمتلك ويبحث في كل ما يخص هذين العلمين، وطرقهما، وأجناسهما، وأساليب الأخبار، بتشبيه تمثيلي حذف أداة التشبيه فيه، فهو يشبه نفسه من حيث تمكنه من الحديث بالبحر الذي كثر ماؤه، وثانية بالينبوع المدرار ماؤه فقال :

فَإِنْ شَتُّوا فِي عِلْمِ الدِّيَانَةِ تَلَقَّنِي نِقَابًا لَهُ لَمْ يَخْفَ عَنِّي لَهُ نَقْبُ

وَأَمَّا أَفَانِينُ الْحَدِيثِ فَأَتَّنِي أَنَا بَحْرُهَا الطَّامِي وَيَنْبُوعُهَا السَّكْبُ (42)

ويتكلم على تقييد أصحاب الفقه له، لتمكنه من العلم بشكل لم يألفه من قبله أحد، ثم ينتقل بالكلام ليتحدث عن طلاب الكلام، ويقصد به علم الكلام، إذ ينقسم طلابه إلى معرفة مقالاتهم، ومعرفة حاجاتهم، وما يصح منها بالبرهان وما لا يصح، فهو الذي يَبْتُ العلم في من يَنْبُأه بباديته تلك، ويرفدهم بتلك المعلومات (43)، فقال :

الحكمة في ديوان ابن حزم الظاهري ت456هـ دراسة موضوعية

م.م. انتظار عبد علي محي

وَقِيدَتْ مِنْ فُتْيَا ذُوِي الْفَقْهِ ضَابِطًا بِحَفْظِي مَا طَالَتْ بِهِ قَبْلَهَا الْحُقْبُ

وَإِنْ لَانِ طَلَّابُ الْكَلَامِ بَجَانِبِي فَأَيْ سَاقِيهِمْ وَكُلَّهُمْ شَرِبُ (44)

المبحث الأول... ما تعنيه الحكمة وموضوعاتها في شعر ابن حزم 10

ويبدو أن المحاكمات الذهنية واضحة في البيت الشعري التالي، لعلم ابن حزم ودرايته بكل ما يتعلق بخصمه، كعلم خصمه به، فلا يعيقه سهل ولا صعب، وتمكنه من أن يرد خصمه:

وَعَلِمِي بِمَا فِي سِرِّ خَصْمِي كَعَلْمِهِ فَمَا غَابَ عَنِّي سَهْلٌ وَلَا صَعْبُ (45)

لكن قول ابن حزم إن نسبه يرجع إلى فارس، بوجود لفظة (منوشر)، وحتى إن كان نسبه يرجع إلى فارس، ولم ينل شرف الانتساب إلى بني كلاب أو بني تميم، فهذا لا يؤثر في شعره لتمكنه من قول الشعر فقال:

وَمَا ضَرَّ شِعْرِي أَنْ "مَنُو شَهْرٌ" وَالِدِي وَلَمْ يَحْظْ أَبِي عَلِيًّا تَمِيمٌ وَلَا كَلْبُ (46)

فتصريح ابن حزم وإعترافه وأضح، بأنه لم يصب باللغات لأن أصله غير عربي كما ذكرنا، فقال:

وَأَمَّا تَسَائِلُ بِاللِّغَاتِ وَنَحْوَهَا فَمَا صَارُمِي فِيهَا عَدَدَتْ يَنْبُو (47)

على الرغم من ذلك فتجارب ابن حزم العديدة وعلمه، وحدة ممانعته في تلك المحاكمات وقوتها، ومعرفته القديمة بالتاريخ، فهو عارف بكل الملوك وعامة الناس وأوقات الحرب وأوقات السلم، وعلمه بكل من وفد إلى الأندلس أو نزح عنها منذ وجدت الدنيا، ويبدو أنه واسع الاطلاع في آداب اللغة العربية، فهو الذي يقول:

وَإِنْ شِئْتَ أَخْبَارَ الدَّهْرِ فَإِنِّي أَنَا جَامِعُ التَّارِيخِ مَذْنِبُ الْهُضْبُ

فَمَا غَابَ عَنِّي أَمْرُ مَلِكٍ وَسُوقَةٍ وَلَا شَدَّ دُونِي أَمْرُ سِلْمٍ وَلَا حَرْبُ

الحكمة في ديوان ابن حزم الظاهري ت456هـ دراسة موضوعية

م.م. انتظار عبد علي محي

سواء على ذكري قريبٍ ونازحٍ ومن حملت أرضٍ ومن ضمه الترابُ

وحسبك بي في الأعرىض مقتعا إذا عدت الأوتاد والشطر والظربُ⁽⁴⁸⁾

أما معرفته وقدرته في أنساب العرب فهو سيد القوم فلا يخفى عليه أحد، نتيجة ثقافته وتبحره في الأنساب :

وإن تُذكر الأنساب كنت نقيها ولم يخفَ عن ذكري حي ولا شغب⁽⁴⁹⁾

المبحث الأول... ما تعنيه الحكمة وموضوعاتها في شعر ابن حزم 11

إذ لا يخفى على أحد بأنه مؤلف كتاب "جمهرة أنساب العرب" ولديه المعرفة الواسعة في الأصول والجدل والفقه والتفسير والتاريخ، فتلك الأشعار واجه بها خصومه مجادلاً كاشفاً عن علومه الواسعة، وعلمه بكل ما يدور حوله، ويسترسل ابن حزم في قصيدته مصوراً لنا علمه بأنه سيصاحبه إلى أي مكان يذهب، ويكون معه في أي مكان يحل به أو يستقر، حتى قال :

يسافر علمي حيث سافرت ظاعناً ويصحبني حيث استقلت بي الركب⁽⁵⁰⁾

فعلمه محفوظ في صدره شاغل عمره :

محلته صدري ومسكن عمره بحيث التقى مني الترائب والتراب⁽⁵¹⁾

ويستمر بوصف حالته، وهجره للنوم حتى وإن نام الناس وارتاحوا، فإنه لم ينم، لإنشغاله بالعلم والعلوم التي تزارحه على نومه :

إذا ما الجنوب استوطأت في ضجاعها فعنه نبا عن مضجعي مني الجنب⁽⁵²⁾

وله قصيدة أخرى يعد نفسه فيها بأنه من أصحاب العلوم، نظمها وهو في السجن، يتكلم فيها على حدة خاطره وذكائه، وتوقد هذه الخاطرة بالفكرة الذكية التي لم تخب ولم تطفأ، بتشبيه حدة ذكائه بالنيران المتوقدة التي لم تطفأها أمواج البحر، ويقول فيها إن فقهه واسع في العلوم، وتبحره فيها كلها ولم يختص بعلم من دون آخر، ففنون العلم كلها تتوضح وتبين وتكون متقنة ومحكمة وقوية، إذا وضعت بأيدي رجال اختصوا بالعلم، ثم يعود

الحكمة في ديوان ابن حزم الظاهري ت456هـ دراسة موضوعية

م.م. انتظار عبد علي محي

للكلام على نفسه وتمكنه من العلوم التي تخص العرب والعجم، ثم يصف لنا العلم بأنه محيي همته ومنيرها، وحليفه ورافع اسمه في أي مكان يحل به :

وَمَنْ دَانَ أَرْبَابَ الْعُلُومِ بِأَسْرِهِمْ لَهُ بِصْرِيحِ الرِّقِّ وَهُوَ لِهِمْ رَبُّ

فَلَوْ كُتِبَ الْفَوْلَاذُ حِدَةً خَاطِرِي تَسَاوَى لَدَيْهِ اللَّحْمُ وَالْحَجَرُ وَالصُّلْبُ

وَمَا اخْتَصَّ عِلْمٌ دُونَ عِلْمٍ بِوَجْهَتِي بَلْ مَسْرُحِي فِي كُلِّهَا الْوَاسِعُ الْخَصْبُ

تَظَلُّ فُنُونُ الْعِلْمِ تَجَلَّى إِذَا غَدَتِ بِأَيْدِي رِجَالٍ وَهِيَ مَنجُولَةٌ عُضْبُ

وَلَوْ كَانَ لِلنَّيِّرَانِ بَعْضُ ذَكَائِهِ وَفَاضَتْ عَلَيْهِ لَجَّةُ الْبَحْرِ لَمْ تَخْبُ

وما عزني والحمد لله مطلباً من العلم مما أبقت العجم والعرب
المبحث الأول... ما تعنيه الحكمة وموضوعاتها في شعر ابن حزم 12

حليفي ومحيي همتي ومنيرها ورافع ذكري حيثما اتصل الركب⁽⁵³⁾

ثم يقول: لو ان ارسطوطاليس حي لعلوته وفقهته وأصبح من متابعي:

ولو ان " رسطاليس " حي بززته وما عاش إلا وهو لي بالحرى تريب⁽⁵⁴⁾

ولوثوق ابن حزم بعلمه، نجده يكرر معنى اعتزازه برأيه وعلمه، إذ قال :

من فكرتي لي عينٌ لا تفيض ومن ماضي لساني مضى الشهب⁽⁵⁵⁾

ثم يشبه نفسه بالشمس التي تنير سماء العلوم، لكنه في المكان غير المناسب:

أنا الشمس في جو العلوم منيرة ولكن عيبي أن مطلعي الغرب⁽⁵⁶⁾

كذلك يشبه علمه بسيفه القاطع، ويقول إنه أنيسه منذ خمسة وعشرين عاماً :

وأنسى مذ خمس وعشرون حجة أروح وأغدو وهي صارمي العضب⁽⁵⁷⁾

الحكمة في ديوان ابن حزم الظاهري ت456هـ دراسة موضوعية

م.م. انتظار عبد علي محي

ومن قصيدة أخرى كتبها إلى أبي عبد الله محمد بن فتوح الحميدي، يقول فيها على الرغم من تباعد الأجسام – اي بعد المكان بين ابن حزم والحميدي - لكن نفوسهم متقاربة متألفة، والذي جمع قلوبهما هو العلم الذي يشير له بلفظتي " الأقلام والصحف " .

إن كانت الأبدان بائنة فنفس أهل الظرف تأتلف

يارباً مُفترقين قد جمعت قلوبهما الأقلام والصحف (58)

من خلال ما تقدم نستطيع أن نستشف بعض السمات التي تمثلت في شعر ابن حزم، منها أيديولوجية ثقافية فهو رجل معتد بنفسه، واثق برأيه، مدافع عنه، وأخرى تاريخية فهو على علم بالتاريخ وله باع طويل فيه، وثالثة يكشف لنا عن سعة علمه بالدين والحديث، والمشاركة في كثير من التعاليم، "فهو مرآة جليلة تبدو فيها المواهب على أكملها، ولو أنصفه رجال دهره، ورزق شيئاً من اللين فيما يصدع به من أمره وما يحاوله من اصلاح في الدين والعلم لانضوى تحت لوائه كل حامل محبرة أو ممل في علم الدين" (59) .

المبحث الثاني... الحلم والعدل عند ابن حزم..... 13

الحلم عند ابن حزم:

إذا كان الحلم " قوة تمنع النفس عن الغضب بسهولة " (60) . فإن خلقه الذي هو هيئة النفس وصورتها الباطنية (61)، يكشف لنا عما " عانى ابن حزم من ألوان الظلم وشاهد من مساوىء السياسة حتى أودى في نفسه وكرامته ، ولقد كان لتلك الأحداث أثرها في شخصيته، عملت فيه عملها فصقلت مواهبه وزادته اعتداداً بنفسه أورثه كل ذلك حدة وقوة عارضة " (62) . ووصفه ابن سعيد بأنه: " كالبحر لا تكف عواربه، ولا يروى شاربُه ، وكالبدر لا تُجحد دلانله، ولا يُمكن نائله ... " (63) . لكن إلى جانب هذه المعاناة والحدة وشدة المعارضة والاعتداد بالنفس، ووصف ابن بسام له بأنه "لا يمكن نائله" نجد ابن حزم يمتلك الحلم في الرد على من نال منه في مواقف تعرض لها، واستطاع أن يحلها بحلمه ونور ذهنه فهو الذي يقول :

لكن إذا أشكلت دنيا معضلة قابلتها بسنى ذهني وحسبك بي (64)

وقوله في الشدائد التي يبتلي بها:

إني لأعجب من شأني وشأنهم واحسرتا إنني بالناس ممتحن (65)

الحكمة في ديوان ابن حزم الظاهري ت456هـ دراسة موضوعية

م.م. انتظار عبد علي محي

ويبدو إنَّ الحلم والحكمة واضحا جليان في رد ابن حزم على ابن عمه أبي المغيرة، عندما بعث إليه برسالة بعد أن شجر الأمر بينهما، وجرت بينهما هَنَاتٌ...⁽⁶⁶⁾ ما أوجب أن رد ابن حزم بهذه الرسالة: "سمعتُ وأطعت لقوله تعالى: " وأَعْرَضُ عن الجاهلين " وأَسْلَمْتُ وَأَنْقَدْتُ لقول نبيه عليه السلام: صِلْ من قطعك، وَاغْفُ عَمَّنْ ظَلَمَكَ، ورضيت بقول الحكماء: كفاك انتصاراً ممن تَعَرَّضَ لِأَذَاكِ إِعْرَاضُكَ عَنْهُ " ⁽⁶⁷⁾ فهو يلتزم بكلام الله سبحانه وتعالى، وأمر الشرع بالإعراض عن الجاهلين والصبر على الأذى، والافتداء بالرسول (صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم)، وتطبيقه لكلام الحكماء، وحلمه في الرد على ابن عمه قائلاً: إذا كان أسلوبك هو السباب فهذا لا يضيرني؛ لأن ابن حزم ينظر إلى السباب على إنه سفاهة، ويرفض أن يرد على من سبه بالمثل؛ لأنه صان فمه أن ينطق بكل ما يعاب، كأنه بذلك يقول: فإني لا أجيبك لأن سكوتي هو الجواب:

تَتَّبِعْ سِوَايَ أَمْرًا يَبْتَغِي سِبَابَكَ، إِنَّ هَوَاكَ السَّبَابُ

فَإِنِّي أَبِيتُ طِلَابَ السَّفَاهِ وَصُنْتُ مَحَلِّيَ عَمَّا يُعَابُ

وَقُلْ مَا بَدَاكَ مِنْ بَعْدِ ذَا فَإِنَّ سَكُوتِي عَنْهُ خِطَابٌ ⁽⁶⁸⁾

المبحث الثاني... الحلم والعدل عند ابن حزم..... 14

ثم يذكر عتبه وما يحزُّ في نفسه، وهو رأي الناس فيه إلا رأي ابن عمه، وقولهم أن أعماله نافعة لأصحابه وضارة بأعدائه؛ لأن أعداءه ومخالفيه أكثر وكان يرد عليهم الكذب والافتراء بالحق والصواب:

كفاني بذكر الناس لي ومآثري ومالك فيهم يا ابن عمي ذاكراً

عدوي وأشياعي كثير، كذلك من غداً وهو نفاع المساعي وضائر ⁽⁶⁹⁾

ويمثل البيت الآتي روح الحكمة والحلم والتسامح الحقيقي، تجاه ابن عمه، فهو يصبر نفسه كي يتحمل كل أذية وتقصير منه، في قوله:

وإني وإن آذيتني وعقفتني لمحتملٌ ماجاءني منك صابراً ⁽⁷⁰⁾

الحكمة في ديوان ابن حزم الظاهري ت456هـ دراسة موضوعية

م.م. انتظار عبد علي محي

ولا نستغرب ذلك الرد منه، ففي رسالته - رسالة مراتب العلوم- وفي كلامه عن اللغة والنسب والشعر، يقول في الضرب الرابع، في حديثه عن الهجاء " فإن هذا الضرب أفسد الضروب لطالبه، فإنه يهون على المرء الكون في حالة أهل السفه" (71).

وبعد أن استمر الفلك في دورته والأيام في تقلبها، واعتورت الأمة الأحداث، وبوجود الوشائيات والسعايات التي لم يكن ابن حزم بمنأى عنها، وبمثل هذا الموقف نجدّه يرد على الفعلة الشنيعة المنافية للعقل والرأي، التي قام بها الملك المعتمد بن عباد والي إشبيلية، بعد أن أثار الفقهاء الحانقين في ابن حزم، أثروا من المعتمد فأحرق كتب ابن حزم، فلم تضعف تلك الحادثة من عزيمته، بل قابلها بقول حليم تمثل بأبيات، كان فيها خطابه صريحاً وموجهاً إلى الشخص الذي قام بهذه الفعل، ومن ورائه، مبيناً لهم من خلال أبياته التي توحى بحكمته راداً بقوله: وإن تحرقوا هذه الكتب وما تضمنته فانكم لن تستطيعوا حرق قلبي، الذي هو منبع هذه الكتب وما حوته، ثم يستعير الألفاظ (يسير، ويستقر، ويموت، ويدفن)، في وصف صفة شيء للإنسان، أستعير لشيء آخر وهو العلم الذي يصفه بأنه ملازماً له ومعه ورفيقه في هذه الحياة، فهو لا يأبه لإحراق هذه الكتب التي باتت رماداً، لكن الذي يهيمه العلم ونشره وأطلاع الناس عليه :

فإن تحرقوا القرطاس لاتحرقوا الذي تضمنه القرطاس بل هو في صدري

يسير معي حيث استقلت ركائبي وينزل إن أنزل ويدفن في قبوري

دعوني من إحراق رمد وكاغد وقولوا بعلم كي يرى الناس من يدري

وإلا فعودوا في المكاتب بدأة فكم دون ماتبعون الله من ستر (72)

المبحث الثاني... الحلم والعدل عند ابن حزم..... 15

وهذا منافياً لقوله: " الكتب نعم الخزانة له إذا طلب، ولولا الكتب لضاعت العلوم ولم توجد فلولا شهادة الكتب لاستوت دعوى العالم والجاهل" (73). لكن الموقف تطلب منه هذا الرد. فهو الذي يقول :

فكم قائل أعفئته وهو حاضر وأطلب ما عنده تجيء به الكُتُب (74)

ومن حكمته أيضاً يشبه نفسه بحروف الجر التي تمتنع عن الدخول على الأفعال، كذلك هو يمتنع عن النزول ووصف كل ما هو دنىء الوصف :

الحكمة في ديوان ابن حزم الظاهري ت456هـ دراسة موضوعية

م.م. انتظار عبد علي محي

هذا العقل أن يكون حاملاً للعلم وإلا فهو لاشيء يذكر؛ لأنه يصفه بأنه غير منتج، ثم يصف العقل الذي لا علم فيه، كالإنسان الأعمى الذي لا يرى من هذه الدنيا شيء:

إنما العقل أساس فوَقه الأخلاق سور

فتحل العقل بالعلم م إلا فهو بور

جاهل الأشياء أعمى لا يرى حيث يدور⁽⁷⁹⁾

ثم يقول: إن العلم لا يتم إلا بالعدل، أي أن يكون العالم أو الإنسان المتعلم عادلاً غير منحاز في علمه لجهة ما وإلا فعلمه كذب، وبعدها يقرن العقل الذي يحمل العلم والعدل بالجود، فالعقل الذي يحمل العلم والعدل من غير كرم يعده ابن حزم عقلاً ظالماً:

وتمام العلم بالعد ل وإلا فهو زور

وتمام العدل بالجو د وإلا في جور⁽⁸⁰⁾

ويقرن الكرم بنجدة الآخرين، أي "أن يكون الإنسان واثقاً بثبات نفسه عند الخوف من الجزع الموجب للحركات المضطربة"⁽⁸¹⁾. وإلا فهذه المساعدة والنجدة هي جبن وغرور، ثم ينفي اكتمال العقل، إلا بمخافة الله وقول الحق اللذين يصفهما بالنور، فهذه أصول كمال العقل عند ابن حزم. لكن الذين يحملون كمال العقل، هم قلة تزور:

وملاك الجود بالنج دة والجبن غرور

وكمال الكل بالتق وى وقول الحق نور

ذي أصول الفضل عنها حدثت بعد النزور⁽⁸²⁾

لأن "الناس سواسية ومعيار التفاضل بينهم هو عملهم الصالح، فلا فضل لأحد على أحد إلا بالأعمال الصالحة التي يحبها الله ويحبها الناس"⁽⁸³⁾. إذ ليس هناك عمل صالح أفضل من العدل وسعي الإنسان وراء تمام عقله.

الحكمة في ديوان ابن حزم الظاهري ت456هـ دراسة موضوعية

م.م. انتظار عبد علي محي

المبحث الثاني... دفاع ابن حزم عن الإسلام..... 17

دفاع ابن حزم عن الإسلام:

جراً ابن حزم في سبيل الله جعلت منه لساناً مدافعاً، وسيفاً مسلولاً على أعداء الدين، والمنافقين والمتاجرين به، فكيف لا وهو القائل " الحجة كلها هي القرآن والسنة، لا ترك تارك ولا أخذ أخذ، والحق حق أخذ به أو ترك، والباطل باطل أخذ به أو ترك، وما عدا هذا فهدر وهذيان " (84). فهو الذي يقول :

لا أنتهي نحو آراء يقال بها في الدين بل حسبي القرآن والسنن (85)

وقوله " وقد بينا أن كل شريعة سوى الإسلام فباطل ، فالواجب الإفتخار على شريعة الحق، وعلى كل ما أعان على التبحر في علمها " (86). " والقرآن عربي فلا سبيل إلى أن يعلمه من لم يعلم العربية ... ، ولا سيما إن كان المذكور لم يتناول من الشريعة إلا علماً واحداً من علومها ، فهذا إنسان ناقص مسيء إلى نفسه مهلك لها، لأنه إن تناول علم القرآن ولم يتناول علم السنن كانت يده من الدين صفراً، وكان علمه عليه لا له . ومن أحسن علم السنن ولم يحسن علم القرآن، لم يعلم ما يجوز به القراءة مما لا يجوز، وما أنزل الله تعالى مما لم ينزل، وإن تعلق بالفتيا دون علم بالقرآن والسنن فهو والحمار سواء ولا يحل له أن يفتي لأنه لا يدري أحق أم باطل " (87). " وهذه الطريقة التي وصفنا مؤديةً إلى الإقرار بنبوة محمد صلى الله عليه وآله وموجبة لطلبنا في القرآن من عهد الله تعالى وطلب عهده عليه السلام وتمييز صحيحها مما لم يصح منها، والأخذ بكل ذلك والتمسك به فإن هذا معدوم في جميع الملل حاشا ملة الإسلام " (88).

فاين حزم وكما قال ابن بشكوال في حقه كان أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الإسلام وأوسعهم معرفة مع توسعه في علم اللسان ووفور حظه من البلاغة والشعر والمعرفة بالسير والأخبار (89). لذلك نجد ابن حزم يفتخر بأن ما حصل عليه من هذه الدنيا من العلم والعلوم التي فيها دعاء إلى القرآن والسنن ونشرها في كل مكان؛ والتي تناسى رجال الدين ذكرها في محاضراتهم، فقال :

مناتي من الدنيا علوم أبثها وأنشرها في كل باد وحاضر

دعاء إلى القرآن والسنن التي تناسى رجال ذكرها في المحاضر (90)

الحكمة في ديوان ابن حزم الظاهري ت456هـ دراسة موضوعية

م.م. انتظار عبد علي محي

ابن حزم كما أسلفنا خير مدافع عن الإسلام، وخير ما يمثل ذلك قصيدته المشهورة التي قالها ارتجالاً، رداً على القصيدة الملعونة التي أرسلها النقفور الملقب الدمستق ملك الأرمن، وهي القصيدة الأرمنية المخذولة الملعونة أرسلها إلى الخليفة المطيع لله نظمها له بعض كتابه في سب الإسلام والمسلمين، وقد انتحى للجواب عنها بعد ذلك ابن حزم، فأفاد وأجاد وأجاب عن كل فصل باطل بالصواب والسداد في قصيدته الفريدة الإسلامية

المبحث الثاني.... دفاع ابن حزم عن الإسلام.....18

الميمونة التي منها قوله متحدثاً عن العلم وتمكنه منه قديمه وحديثه، واصفاً شعره والكلمات التي نظمت هذه القصيدة بأنها كالعقد الذي نُظِم من الزمرد والدر والياقوت⁽⁹¹⁾

لنا كل علم من قديم ومحدث وأنتم حمير داميات المحازم

أتيتم بشعر بارد متخاذل ضعيف معاني النظم جم البلاعم

فدونكها كالعقد فيه زمرد ودر وياقوت بإحكام حاكم⁽⁹²⁾

وقال: عندما أكثر الناس في عذله وتأنيبه، لأنه لا يأخذ برأيهم الذي فيه الباطل، ويتمسك بالقرآن وأحكامه ونصرته، ولا يحيد إلى سواه، مفتخراً بإنتمائه إليه.

قالوا تحفظ فإن الناس قد كثرت أقوالهم وأقاويل العدا محن

هل عيبهم لي غير أن لا أقول بالرأي إذ في رأيهم فتن

وأني مولع بالنص لست إلى سواه أنحو ولا في نصرة أهن⁽⁹³⁾

وله من قصيدة أخرى يتحدث فيها عن نعم الله وكونه وفيها وعظ حسن، متحدثاً عن درجات الفهم التي وصل إليها، وتمكنه من فنون العلم والوقوف على ما يسأل بما وكيف وهل ولم، وتمكنه من الإجابة في كل ذلك فقال:

وأخرجتني بعد في عالمي وبلغتني درجات الفهم

ومكنتني من فنون العلوم ببادي الكلام وخط القلام

الحكمة في ديوان ابن حزم الظاهري ت456هـ دراسة موضوعية

م.م. انتظار عبد علي محي

وعلمتني الحكم في هل وما وأطلعتني طلع كيف ولم⁽⁹⁴⁾

مما تقدم يبدو أن الذهبي⁽⁹⁵⁾ قد اصاب في وصفه لابن حزم عندما قال: كان عليه المنتهى بالنكاه، وحدة الذهن، وسعة العلم بالكتاب، والسنة، والمذاهب، والملل والنحل العربية، والآداب، والشعر، وكثرة الكتب. وختاماً إن من ينظر إلى هذه الأشعار يجدها نبراساً في ما يطمح إليه الفرد، وضياء يبين له طريق ما يسمو إليه.

الخاتمة والنتائج.....19

- 1- تجلّى من هذا البحث عناية ابن حزم البالغة بالعلم، وعدم استغنائه عنه مع حقيقة شخصه، فهذه المواقف تظهر حقائق البشر، بل عمد في بعض النصوص إلى القول مُناتي من الدنيا علوم أثبتها ... فهو يمتلك القدرة على إيصال هذه العلوم إلى السامع، ونشرها وجعله يتفاعل معها.
- 2- تمتاز هذه الأشعار بإيجازها مع البلاغة والوضوح؛ لأنها تُعلن غالباً بشكل شديد الاختصار.
- 3- جاءت هذه الأشعار مليئةً بالعبر والعظات والحكم العظيمة في طرائق مداواة النفوس، فخرج البحث بمعانٍ دقيقة، ولطائف كثيرة، وفوائد نفيسة جمه، منها: رصد بعض الصور التي تمثل جوانب أخلاقية وسلوكيات بعض أفراد المجتمع أو ملوكهم، وطريقة تفكيرهم في المجتمع الأندلسي، ومن جانب آخر فإن النظر في هذه الأشعار تظهر تمكن ابن حزم وامتلاكه الحكمة، واستقلاله بفهمه، وتطبيقه للقواعد، وتضلعه في الشعر، والتأريخ، والفلسفة، والديانات، والسنن، والحديث، والفقه، واللغات، والعروض، ومعرفة أمور بلاده.
- 4- هذا البحث هو وثيقة تاريخية تبين جانباً مهماً من حياة ابن حزم ولاسيما ثقافته وتاريخه، فهو رجل واثق برأيه مدافع عنه، على علم بالتاريخ وله فيه باع طويل، تمثل كل ذلك في شعره، فلم يكن عالماً مبرزاً فحسب، وإنما كان أديباً شاعراً أيضاً، قادته طبيعته الجريئة إلى أن يتحدث بصراحة حتى في موضوعات لم يجرؤ غيره من الفقهاء على الحديث بها، كما جاء في كتابه توراة اليهود وبعض أسفارهم من حيث التوثيق والمغالطات .
- 5- سمحت هذه الأشعار الموجزة بفحص مميز للتصرفات البشرية وعلاقتها مع القضايا الأخلاقية الأخرى، إذ تشترك هذه المواقف جميعها في العنصر الذاتي .
- 6- تُعد هذه النصوص من أعظم الأشعار، إذ قيل كلُّ شيء يزينه الصدقُ إلا الساعي والشاعر ففي كلامه كذب، إلا ما خرج عن حدِّ الشعر فجاء مجيء الحكم والمواعظ

الحكمة في ديوان ابن حزم الظاهري ت456هـ دراسة موضوعية

م.م. انتظار عبد علي محي

(96). ولأنها تميل إلى الأدب الأخلاقي، وفيها وحدة الفكر والموضوع وهو التأكيد على العلم، لذلك هي من الأشعار الخالدة لكل زمان ومكان .
7- تعد هذه الأشعار والنصوص مثلاً واضحاً للشعر التقليدي وقد اعتمد فيه ابن حزم نظام الشطرين ووحدة الوزن والقافية، وجميع النصوص تومئ إلى ما غلب فيه المنحى المنطقي الفلسفي على ما كتبه ابن حزم، فهو يرى أن أحوال الدنيا إلى اضمحلال، والحقيقة إنما هي العمل للأخرة فقط .

الهوامش.....20

- 1- مقدمة طوق الحمامة في الألفة والألاف: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، حققه أحسين كامل الصيرفي، مطبعة السعادة مصر، 1959م .
- 2- ديوان ابن حزم الظاهري، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (ت 456هـ) ص: 22، جمع وتحقيق د.صباحي رشاد عبد الكريم، دار الصحابة للتراث، طنطا مصر، د.ت
- 3- مقدمة طوق الحمامة، ص: (ح) .
- 4- ينظر: مقدمة طوق الحمامة، ص: (ن) .
- 5- رسائل ابن حزم الأندلسي، ج4، 1- رسالة مراتب العلوم، ص: 77 .
- 6- القاموس المحيط، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي باب الميم، فصل الحاء، ص: 1415 .
- 7- لسان العرب، باب الميم، فصل الحاء ج 12، ص: 143 .
- 8- ينظر: القاموس المحيط، باب الميم، فصل الحاء، ص 1415 .
- 9- القاموس المحيط: باب الميم، فصل الحاء، ص: 1415 .
- 10- Meaning of wisdom
- 11- البقرة: 269 .
- 12- الجمعة: 2 .
- 13- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن أبي بكر بن خلكان (ت 681هـ)، ج 7، ص: 362، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار الثقافة 1968م .
- 14- التربية الروحية، السيد كمال الحيدري، ص: 73، مط ستارة، ط5، 1423هـ - 2003م .
- 15- Retrieved 13-11-2017. Edited www.psychologytoday.com.27-6-2017
- 16- السعادة الزوجية: ماجد سلمان دودين: ص: 38، مطبعة دارالإسراء، عمان الأردن، ط 1 2007م .
- 17- ينظر: مقدمة طوق الحمامة؛ ينظر: المصدر نفسه ص: 79 .
- 18- المغرب في حلى المغرب، ج1، 354 .
- 19- ينظر: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ج 1، ص: 137 .
- 20- ينظر: ديوان ابن حزم، ص: 9 .
- 21- المصدر نفسه، ص: 60 .
- 22- ينظر: المصدر نفسه، ص: 11 .
- 23- ينظر: مقدمة طوق الحمامة (ي) .
- 24- المصدر نفسه: ص: 60 .

الحكمة في ديوان ابن حزم الظاهري ت456هـ دراسة موضوعية

م.م. انتظار عبد علي محي

- 25- مقدمة طوق الحمامة.
- 26- الإمام المحدث، المؤرخ النحوي صاحب التصانيف، حيان بن خلف بن حسين بن حيان الأموي، القرطبي الاخباري، الأدبي، ولد سنة 377، توفي عُشر المائة الا قليلاً؛ سير أعلام النبلاء، الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت748هـ)، ص:371، ج 18، مط مؤسسة الرسالة، 1422هـ/2001م.
- 27- مقدمة طوق الحمامة، ص: (ي).
- 28- الإمام العلامة، الحافظ، ذو الفنون، القاضي أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن ايوب بن وارث التجيبي القرطبي الباجي الذهبي الأندلسي ت 474 هـ؛ سير أعلام النبلاء: الطبقة الخامسة والعشرون، ج 18، ص: 536.
- 29- مقدمة طوق الحمامة، ص: (ح).

الهوامش.....21.....

- 30- ديوان ابن حزم، ص: 9.
- 31- المصدر نفسه، ص: 60.
- 32- المصدر نفسه والصفحة.
- 33- المصدر نفسه والصفحة.
- 34- المصدر نفسه، ص: 6.
- 35- المصدر نفسه والصفحة.
- 36- ديوان ابن حزم ص: 61.
- 37- المصدر نفسه والصفحة.
- 38- المصدر نفسه والصفحة.
- 39- المصدر نفسه والصفحة.
- 40- المصدر نفسه، ص: 56.
- 41- المصدر نفسه والصفحة.
- 42- المصدر نفسه، ص: 56-7.
- 43- ينظر: رسائل ابن حزم الأندلسي، ج4، 1- رسالة مراتب العلوم، ص: 79.؛ الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: تأليف أبي الحسن علي بن بسام الشنتريني، ج1، ص: 137، ق1، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ط 200، م1.
- 44- ديوان ابن حزم، ص: 57.
- 45- المصدر نفسه والصفحة.
- 46- المصدر نفسه، ص: 57.
- 47- المصدر نفسه والصفحة.
- 48- المصدر نفسه، ص 58.
- 49- المصدر نفسه والصفحة.
- 50- المصدر نفسه والصفحة.
- 51- المصدر نفسه، ص: 55-6.
- 52- المصدر نفسه، ص: 52.

الحكمة في ديوان ابن حزم الظاهري ت456هـ دراسة موضوعية

م.م. انتظار عبد علي محي

- 53- المصدر نفسه، ص: 26.
54- ينظر: المصدر نفسه، ص: 58.
55- المصدر نفسه، ص: 22-3.
56- المصدر نفسه، ص: 76.
57- المصدر نفسه، ص: 56.
58- المصدر نفسه، ص: 24.
59- مقدمة طوق الحمامة.
60- التربية الروحية، ص: 74.
61- "الخلق عبارة عن هيئة في النفس راسخة عنها، تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلاً وشرعاً سميت تلك الهيئة خلقاً حسناً، وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقاً سيئاً، وإنما قلنا إنها هيئة راسخة لأن من يصدر منه ... السكوت عند الغضب وبجهد وروية لا يقال خلقه الحلم، بل هي هيئة للنفس بها تميل إلى أحد الجانبين ويتيسر عليها أحد الأمرين إما الحسن وأما القبيح، ... وهذه الهيئة التي تستعد النفس لأن يصدر منها الإمسالك أو البذل، فالخلق إذاً عبارة عن هيئة النفس وصورتها الباطنية؛ إحياء علوم الدين، تصنيف الإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي، المتوفى سنة 505، ص: 53، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

الهوامش 22

- 62- ينظر: ديوان ابن حزم، ص: 62.
63- المغرب في حلى المغرب: علي بن موسى بن سعيد، ج1، ص: 354، حقه وعلق عليه الدكتور شوقي ضيف، ط3، دار المعارف القاهرة، د.ت.
64- ديوان ابن حزم، ص: 26.
65- المصدر نفسه، ص: 44.
66- ينظر: المغرب في حلى المغرب، ج1، ص: 354.
67- المصدر نفسه، ج1، ص: 355.
68- ديوان ابن حزم، ص: 17.
69- المصدر نفسه، ص: 72.
70- المصدر نفسه، ص: 58.
71- رسائل ابن حزم الأندلسي، ج4، 1- رسالة مراتب العلوم، ص: 68.
72- ديوان ابن حزم، ص: 69.
73- رسالة مراتب العلوم، ج4، ص: 77.
74- ديوان ابن حزم، ص: 58.
75- المصدر نفسه، ص: 68.
76- ينظر: ديوان ابن حزم، ص: 6.
77- المصدر نفسه، ص: 57.
78- ديوان ابن حزم، ص: 82.
79- المصدر نفسه والصفحة.
80- المصدر نفسه والصفحة.

الحكمة في ديوان ابن حزم الظاهري ت456هـ دراسة موضوعية

م.م. انتظار عبد علي محي

- 81- التربية الروحية:ص 4-73.
- 82- - ديوان ابن حزم: ص: 83
- 83- كيف تحب وكيف تكون محبوباً،ص: السيد إبراهيم الفقي،الكاتب والمحاضر العالمي،ص:58، مطبعة الحياة .
- 84- رسالة مراتب العلوم،ج4،ص: 820 -3.
- 85- ديوان ابن حزم: ص: 44.
- 86- رسالة مراتب العلوم ،ج4، ص:87.
- 87- المصدر نفسه،ج3،ص:87
- 88- المصدر نفسه،ج3، ص 74 .
- 89- ديوان ابن حزم،ص: 15.
- 90- المصدر نفسه،ص: 76 .
- 91- المصدر نفسه،ص: 31 .
- 92- المصدر نفسه،ص: 36 .
- 93- المصدر نفسه،ص: 44 .
- 94- المصدر نفسه،ص: 39 .
- 95- المصدر نفسه،ص: 15 .
- 96- ينظر: رسالة مراتب العلوم،ج4،ص:354.

المصادر

والمراجع.....23

- 1- القرآن الكريم.
- 2- إحياء علوم الدين، تصنيف الإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي، المتوفى سنة 505، دار المعرفة، بيروت، لبنان (دب).
- 3- التربية الروحية، السيد كمال الحيدري، مطبعة سنارة، ط5، 1423هـ - 2003م.
- 4- ديوان ابن حزم: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (ت456هـ) جمع وتحقيق: د. صبحي رشاد عبد الكريم، دار الصحابة للتراث، طنطا مصر، دب.
- 5- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: تأليف أبي الحسن علي بن بسام الشنتريني(542هـ)، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ط1، 200م، ق1.
- 6- رسائل ابن حزم الأندلسي، الجزء الرابع، أولاً رسالة مراتب العلوم، تحقيق الدكتور إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1983.
- 7- السعادة الزوجية: ماجد سليمان دودين، مطبعة دارالإسراء عمان الأردن، ط2007، 1.
- 8- سيرأعلام النبلاء:الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي(ت748هـ)، مط مؤسسة الرسالة، 1422هـ/2001م.
- 9- طوق الحمامة في الألفة والألاف: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم،(456هـ)، تحقيق: أ.حسين كامل الصيرفي، مطبعة السعادة مصر 1959م .

الحكمة في ديوان ابن حزم الظاهري ت456هـ دراسة موضوعية

م.م. انتظار عبد علي محي

-
-
- 10- القاموس المحيط: لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (817هـ) تحقيق: مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف محمد نعيم العرقسوسي، مطبعة مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، ط 8 ، 1426هـ - 2005م .
- 11- كيف تحب وكيف تكون محبوباً، الكاتب والمحاضر العالمي الدكتور إبراهيم الفقي، مطبعة الحياة، (د.ت).
- 12- لسان العرب : ابن منظور، تحقيق نخبة من العاملين بدار المعارف، الأستاذ عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، (د.ت).
- 13- المغرب في حلى المغرب: علي بن موسى بن سعيد (ت658 هـ)، حققه وعلق عليه الدكتور شوقي ضيف، ط3 دار المعارف القاهرة، ج 1-2 (د.ت).
- 14- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن أبي بكر بن خلكان (ت681هـ)، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار الثقافة 1968م .

موقع الكتروني

www.psychologytoday.com.27-6-2017

25

The Sources & References

1. The Holy Quran
2. The Revival of the Religious Sciences, the classification of Imam Abu Hamid Mohammed bin Mohammed Al Ghazali, who died in the year 505 / Dar Al Maarifah, Beirut, Lebanon (D - T)
3. Spiritual Education, Mr. Kamal Al-Haidari, Stara Press, Edition, 1423 Hijri -2003
4. Diwan Ibn Hazm: Abu Muhammad Ali bin Ahmed bin Said bin Hazm Andalusí (456 Hijri) collection and investigation d. Subhi Rashad Abdel Karim, Dar Al Sahaba Heritage, Tanta Egypt (D - T)
5. Ammunition in the beauties of the people of the island: written by Abi Hassan Ali bin Bassam Al-Shantrini (542 Hijri) Investigation of Dr. Ihsan Abbas, Dar Al-Gharb Al-Islami, edition 1, 200 AD, S1
6. Letters of Ibn Hazm Andalusí, Part IV, First Message of the ranks of science, the investigation of Dr. Ihsan Abbas, the Arab Foundation for Studies and Publishing, Beirut Edition 1, 1983
7. marital happiness: Majid Suleiman Dudin, Dar Al Israa Press Amman Jordan, 1, 200

الحكمة في ديوان ابن حزم الظاهري ت456هـ دراسة موضوعية

م.م. انتظار عبد علي محي

-
-
- 26.....
8. The Prophets of the Noble Prophets: Imam Shams al-Din Muhammad ibn Ahmad bin Othman al-Dahabi (d. 748 AH), The Foundation of the Thesis, 1422 AH / 2001
9. collar of the dove in the intimacy and thousands: Abu Muhammad Ali bin Ahmed bin Said bin Hazm (456 e) Investigation: A. Hussein Kamel Alsirifi, Press happiness Egypt 1959
10. Al-Muhit dictionary (817 AH): The Investigation of the Heritage Office at Al-Resala Foundation, Ashraf Mohamed Naeem Al-Arqasusi, Al-Resala Foundation Press, Beirut, Lebanon, 81426 AH - 2005
11. How to love and how to be loved, the writer and the world lecturer Dr. Ibrahim Alfaqi, Al-Hayat Press.
12. Lisan al-'Arab: Ibn Manzoor, Achieving Selected Workers in Dar Al-Ma'arif, Prof. Abdullah Ali Al-Kabeer, Mohammad Ahmad Hasaballah and Hashem Mohammad Al-Shazly, Dar Al-Ma'arif, Cairo (d-
13. Morocco in the Horeen of Morocco: Ali bin Musa bin Said (d. 658 Hijri) achieved and commented on by Dr. Shawky Daif Edition 3 / Dar Al Ma'arif Cairo, C1-2 (DT)
14. Deaths of the elderly and the news of time: Abu Abbas Shams al-Din Ahmed ibn Abi Bakr bin Khalkan (d. 681 Hijri) investigation of Dr. Ahsan Abbas 1968